2655 1153

جريدة الدستور
بتاريخ ٢٧/١٠/١٣

طاهر المصري

□ الدكتور محمد محمود العناقرة

إن لكل أمة تاريخا يصنعه عظماؤها، وفي حياة كل شعب عظيم مسيرة عطاء محفوفة بجهود أبنائه المخلصين الحريصين على بناء غده، وإعلاء صرحه ليكونوا مثالاً للوحدة في التنوع، وصورة للائتلاف في الاختلاف، وعندما نتحدث عن شخصية السيد طاهر المصري فإننا نتحدث عن السياسي الجريء والدبلوماسي المحنك الذي قال فيه ملك الرجال جلالة الملك الحسين بن طلال طيب الله ثراه حين قدم استقالته من الحكومة سنة ١٩٩١ ''أنت أشرف من عرفت'' فهو أول أردني يشغل ثلاث رئاسات في السلطتين التنفيذية والتشريعية وهي رئاسة الوزراء والنواب والأعيان، وهو أول رئيس حكومة في الأردن يخوض الانتخابات النيابية عقب تقديم إستقالته من الرئاسة.

ولد أبو نشأت عام ١٩٤٢ وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية في كلية النجاح الوطنية وقد تخرج منها عام ١٩٥٩ لينتقل إلى الجامعة الأمريكية في بيروت بعدها ثم التحق بجامعة تكساس الأمريكية وحصل منها على البكالوريوس في إدارة الأعمال. وقد تحدث دولة طاهر المصري عن طفولته فقال: ''حياة الطفولة تؤسس لشخصية الإنسان في كبره، أذكر طفولتي والظروف العائلية لأسرتي التي كانت ميسورة الحال والحمد لله وانغماس عائلتي في السياسة والأعمال حيث كان هناك شخصيات من عائلتي كانت سياسية مثل حكمت المصري وشخصيات أخرى كانت تعمل في التجارة مثل عمي معزوز، وكانت عائلتنا على علاقة مميزة وقوية مع الحكم الهاشمي وأذكر أن الملك عبد الله الأول أثناء زياراته المتعددة للضفة الغربية كان يزور نابلس، ويقضي الليل وأحياناً ينام في منزل عمي- الحج معزوز- وكنا نستمع إلى النقاشات والأحاديث التي كانت تدور بين الملك المؤسس ورجالات العائلة وأذكر أن يوم استشهاد الملك المؤسس كان في زيارة إلى نابلس وكان في منزل عمي وقبل مغادرته إلى القدس حتى يصلي الجمعة في المسجد الأقصى طلب عمي من الملك المؤسس أن يبقى ويصلي الجمعة في نابلس بل الحّ عليه ولكن الملك عبد الله قال لعمي: هل تريد أن تحرمني من الصلاة في المسجد الأقصى وغادر جلالته وبعد حوالي ساعة ونصف سمعنا بخبر استشهادة.

بعد أن أكمال دولة طاهر المصري دراسته الجامعية وتخرج من جامعة تكساس عمل في البنك المركزي الأردني وذلك عام ١٩٦٥ ثم انتقل إلى الرياض ليعمل في إحدى شركات القطاع الخاص هناك ولكنه عاد إلى عمان وفي تلك الأثناء كان هناك انتخابات نيابية لملئ خمسة مقاعد شاغرة عن الضفة الغربية وأحد هذه المقاعد كان عن مدينة نابلس وفي تلك الفترة كان عدد أعضاء مجلس النواب ٦٠ عضواً مناصفة بين الضفتين الشرقية والغربية وتم انتخاب دولة طاهر المصري كنائب عن لواء نابلس وذلك عام ١٩٧٣م. وفي ذلك تحدث دولة طاهر المصري فقال: ''بدأت بممارسة العمل السياسي الفعلي منذ عام ١٩٧٣ حيث انتخبت عن لواء نابلس وكان مجلس النواب وقتها يتألف من ثلاثين عضواً عن الضفة الغربية وثلاثين عن الضفة الشرقية، وإثر وفاة بعض نواب الضفة الغربية تم إجراء تعديل قانون الانتخاب وبموجب هذا التعديل أصبح بالإمكان انتخاب أشخاص من مناطق المقاعد الشاغرة، ولما كان مقعد لواء نابلس شاغراً تم اختياري لملئ المقعد الشاغر وقد شجعني ودعمني السيد

عدنان أبو عودة ودولة زيد الرفاعي ودولة مضر بدران.

وأحسست أنني دخلت حياة جديدة تختلف عن الحياة البنكية التي لها أصولها وأسلوب تعاملها ومواصفاتها علماً أنه لم يكن لديّ معرفة كاملة أو واضحة عما ستكون مهمتي أو إمكانيات نجاحي إلا أنني وعدت نفسي أن أعمل بكل جهدي حتى لا أفشل في بداية حياتي وبعد ثلاثة أسابيع من انتخابي الذي صادف في ١٩٧٣/٥/٢م تم إختياري وزيراً في حكومة دولة السيد زيد الرفاعي واعترف أنني لم أكن مهيئاً لذلك من الناحية النفسية ولا من حيث الخبرة، وقد نبهت دولة أبو سمير إلى أن عمري ٣١ عاماً حيث لم يكن مألوفاً أن يكون الوزير بهذا العمر المبكر، لقد كان همي الأول التفكير بكيفية تطوير نفسي لأقوم بمهام المرحلة الجديدة في حياتي.

وفي نيسان عام ١٩٧٥ تم تعيين دولة طاهر المصري سفيراً للمملكة في أسبانيا وعندما شكل دولة أحمد عبيدات حكومته طلب من دولة طاهر المصري أن يصبح وزيراً للخارجية وفي ذلك يقول: ''شكل دولة أحمد عبيدات حكومته وطلب مني أن أصبح وزيراً للخارجية وكان ذلك في وقت لم أقرر فيه نهائياً استمراري في العمل العام حتى بعد قضائي ما يقارب العشر سنوات من العمل الوزاري والدبلوماسي وأستطيع القول أن تعييني وزيراً للخارجية عزز بداخلي الشعور بأنني أصبحت سياسياً في نظر الناس وتعاملت مع تلك الوظيفة بطريقة مختلفة وأصبح لابد من إثبات وجودي كشخص وصاحب آراء لا دافع عنها ليس أمام الغرب وإنما في الداخل أيضاً في نطاق صانعي السياسة الخارجية في البلد وضمن هيئة الوزارة''.

جاء دولة طاهر المصري نائباً لرئيس الوزراء في حكومة الشريف زيد بن شاكر وبعد خمسة أشهر استقال من حكومة الشريف زيد ليشارك في الانتخابات النيابية التي حالفه الحظ فيها وذلك عام ١٩٨٨م وفي ذلك يقول دولة طاهر المصري: ''قررت سلوك درب آخر من دروب الحياة السياسية والمشاركة في الانتخابات وقلت لأصدقائي أنني خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية حصلت على شرعيتي في العمل الحكومي وأرغب الآن أن أحصل على شرعية شعبية وهذه لا تأتي إلا من خلال انتخابات ديمقراطية وترشحت عن الدائرة الثالثة في عمان ودخلت مجلس النواب''.

كلّف جلالة المغفور له الملك الحسين بن طلال دولة السيد طاهر المصري بتشكيل حكومته عام ١٩٩١ وحينها قال لجلالة الملك الحسين طيب الله ثراه بأن الأمور ربما ستكون صعبة عليه – خاصة وأنهم يمرون بأوضاع داخلية وإقليمية صعبة فابتسم جلالة الملك الحسين طيب الله ثراه وقال له ''توكل على الله عندك كل القدرة على معالجة كل تلك الأمور وسوف أكون دائماً داعماً قوياً لك ولحكومتك'' فكان القرار الأول الذي اتخذه دول طاهر المصري في ذلك الوقت هو أن أخذ عهداً على نفسه ألاّ يغريه الكرسي وألاّ يضعف أمامه، وأن يبقى نظيفاً شريفاً شفافاً. وفي ذلك قال دولة أبو نشأت: ''لقد كلفني جلالة الحسين قبل أسابيع من إعلان الحكومة ولم يعلم بذلك إلا أشخاص قلة وعندما بدأت المشاورات كان لدي ثلاثة اعتبارات لتشكيل حكومتي: الأول تمثيل الكتل النيابية، ثم الاعتبار الجغرافي ثم الكفاءة ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب وقد بدأت التشكيل بطريقة مختلفة حيث ذهبت إلى رئيس مجلس النواب كرئيس للسلطة التشريعية وقضيت معه بعض الوقت بحضور بعض الكتل للتشاور ثم استدعيت كتلاً نيابية كاملة للتشاور أيضاً لأنني كنت أرغب بتشكيل حكومة برلمانية.

ومنذ اليوم الأول لحكومتي قررنا السير في المسار الديمقراطي الحقيقي وفي الإصلاح وكانت أول خطوة أننا قررنا التعامل مع الأحكام العرفية والقوانين التابعة لها وقرر مجلس الوزراء إلغاء الأحكام العرفية بعد التشاور مع جلالة الملك وانهمكنا لأيام طويلة في ايجاد النصوص القانونية لامتصاص كل آثار الأحكام العرفية التي استمرت عقوداً والتي كانت قد دخلت في صلب أنظمة استثنائية كثيرة وأعلنت الحكومة بشكل رسمي أنتهاء الأحكام العرفية.

شارك دولة طاهر المصري في الانتخابات النيابية عام ١٩٩٣م حيث كان أول رئيس وزراء يقرر خوض الانتخابات النيابية بعد تركه لموقع رئاسة الحكومة، وقد عمل أيضاً كمفوضاً للمجتمع المدني في جامعة الدول العربية.

لقد آمن دولة أبو نشأت بالإنسان الأردني وبالدستور الأردني وأن الديمقراطية هي نهج الحياة وعندما جاءت الإرادة الملكية السامية بتعيينه رئيساً لمجلس الأعيان الأردني قال دولة طاهر المصري: سوف نكون في مجلس الأعيان عوناً لجلالتكم من أجل ترسيخ دولة المؤسسات ومفهوم سيادة القانون وقبل كل شيء تطبيق مبادئ ومفاهيم الدستور والحفاظ عليها وعلى ثوابته نصاً وروحاً، مع بداية حقبة جديدة من عهدكم المديد والميمون بعون الله وتتزامن مع تأكيدات جلالتكم حول ضرورة السير على طريق الإصلاح والتطوير والتحديث وبالتالي ترسيخ دور السلطة التشريعية فدور مجلس الأعيان في التشريع والمراقبة والمساءلة يتزامن مع دور توأمة مجلس النواب حسب المفهوم الدستوري.

وفي حديث لدولته حول تقييمه لشخصيته جاء قوله: إنني أخشى الله، وأتصرف من منطق مخافة الله تعالى، واحترام نفسي والآخرين وأحاول دائماً أن أبدأ مع نفسي إذا ما أردت تطبيق شيء ما، قبل أن أطالب الآخرين به، كما أنني صادق جداً مع نفسي وأحلل كل صغيرة وكبيرة بيني وبين ذاتي بشكل منطقي وعلمي لذلك إذا كان هناك من أناس يعملون ضدي فليس مبعث ذلك تصرف ضدي بقدر ما هو الاختلاف في الفكر أو الاختلاف في وجهة نظر سياسية أو لأسباب خارجة عن إرادتي كالحسد مثلاً، وأن هناك أشخاصاً عظماء في تاريخ الأمم، ورغم أنهم قلة إلا أنهم مؤثرون في تاريخ البشرية وأن التراث الحضاري أو العلمي أو السياسي لا يبنى إلا بتضافر الجميع دون استثناء.